السوسيولوجيّة القرويّة في رواية "صحّ النّوم" ليحيى حقّي

Rural sociology in the novel “Sah Al-Nom” by Yahya Haqi

تاريخ الاستلام : 2021/09/24؛ تاريخ القبول : 2022/03/21

[1] نعيم عموري
[2] ولي بهاروند
[3] حسين مسعوديان

1 أستاذ مشارك، قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، إيران.
2 أستاذ مساعد، قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، إيران.
3 طالب ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز، إيران.

ملخص

ظهرت السوسيولوجية القروية في أمريكا من الفكرة المتمحورة على القضايا الاجتماعيّة ذات السياق القروي والّتي نتجت إثر تفاقم المشاكل الاقتصاديّة والاجتماعيّة الحاصلة من التحضّر، فاهتم هذا العلم بالدراسة العلميّة للسلوك الاجتماعي والتنشئة الاجتماعيّة الريفيّة واستمرت في أروبّا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثّانية. تطرّق الأدباء إلى المواضيع الريفيّة وقدّموا لها تحاليل اجتماعيّة ومن أشهرهم، الأديب يحيى حقّي، الّذي عاش في زمن المواجهات والصراعات؛ والّذي قد وظّف هذه المواجهات في أوضح صورة ممكنة، ففي روايته الشهيرة "قنديل أم هاشم" مثلاً، خاض الكاتب إلى صراع الشرق والغرب ومابين الرقيّ والحضارة والتخلّف والخرافات وفي "البوسطجي" نراه يشير إلى الريف المصريّ وأمّيته وفي "صح النوم"، يصوّر الكاتب القرية ومشاكلها ويحلل أزماتها من خلال منظار السوسيولوجية القرويّة. وباستخدام التحليل السوسيولوجي للقرية نستطيع أن نصل إلى كنه أفكار الكاتب ونظرته تجاه المجتمع وقضاياه وتأثيرها على مؤلّفاته. هذه الدراسة هدفت بالمنهج الوصفي_التحليلي للكشف عن رؤية الكاتب للأوضاع الاجتماعيّة التى كانت تدور في الريف المصري.

الكلمات المفتاحية: السوسيولوجية ؛ يحيى حقّي ؛ صح النوم ؛ القرية .

Abstract

Rural sociology emerged in America from the idea centered on social issues with a rural context, which resulted from the exacerbation of the economic and social problems resulting from urbanization. The writers touched on rural issues and presented them with social analyzes. The most famous of them is the writer Yahya Haqi, who lived in a time of confrontations and conflicts; The one who used these confrontations in the clearest possible way, in his famous novel “The Qandil Umm Hashem,” for example, the writer delved into the struggle of the East and the West, between sophistication, civilization, backwardness, and superstitions. and its problems and analyzes its crises through the lens of rural sociology. By using the sociological analysis of the village, we can arrive at the author's thoughts, his view of society, its issues, and their impact on his books. This study aimed with the descriptive-analytical method to reveal the writer's vision of the social conditions that were taking place in the Egyptian countryside.

Keywords: Sociology, village, Yahya Haqi, Sah al-Nom.

Résumé

Rural sociology emerged in America from the idea centered on social issues with a rural context, which resulted from the exacerbation of the economic and social problems resulting from urbanization. The writers touched on rural issues and presented them with social analyzes. The most famous of them is the writer Yahya Haqi, who lived in a time of confrontations and conflicts; The one who used these confrontations in the clearest possible way, in his famous novel “The Qandil Umm Hashem,” for example, the writer delved into the struggle of the East and the West, between sophistication, civilization, backwardness, and superstitions. and its problems and analyzes its crises through the lens of rural sociology. By using the sociological analysis of the village, we can arrive at the author's thoughts, his view of society, its issues, and their impact on his books. This study aimed with the descriptive-analytical method to reveal the writer's vision of the social conditions that were taking place in the Egyptian countryside.

.**Mots clés:** Sociology, village, Yahya Haqi, Sah al-Nom.

*Corresponding author, e-mail: n.amouri@scu.ac.ir

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2022.

المقدّمة

مع بداية الثورة الصناعية، أخذ الإنسان يبتعد شيئاً فشيئاً من الحياة الريفية والعادية وينصاغ يوماً بعد يوم إلي الحياة الصناعية ممّا أدّي هذا الأمر إلي وقوع مشاكل في القطاع الزراعي وتفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وقد زادت الحرب العالمية الطين بلّة وتدهورت الاوضاع ممّا تسبب ها الأمر بنشوء فرع خاص من السوسيولوجيا العامّة، وكان هذا الفرع نتيجة من التكامل المعرفي لعدّة تخصّصات كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والذي سمّي فيما بعد بسوسيولوجيا القرية والذي ركّز بشكل خاص علي التنشئة الاجتماعية في القرية والتنمية البشرية وحلّ الأزمات الناتجة فيها.

نظراً لحياة الروائي والكاتب المصري يحيى حقّي واهتمامه بسوسيولوجيا القرية وأهمّية الحقبة التي عاش بها قررنا دراسة روايته "صح النوم"من منظار سوسيولوجيا القرية، فإن القرية في روايته رمز لمصر، ومشاكها هي نفس مشاكل المجتمع المصري آنذاك لاسيما أن القرية المذكورة كانت عبارة عن المجتمع المصري الذي تعيش فترة ما قبل ومابعد ثورة 23يوليو التي أطاحت بالملكية والإقطاعية وسلطة الدول المستعمرة فكانت تصارع المشاكل والأزمات الناتجة عن هذه وتلك وقد كرّس الكاتب طاقته لتشخيص هذه الأزمات وحلّها.

لقد تمت دراسة هذا الموضوع من خلال المنهج الوصفي_التحليلي والإشارة إلي رؤية الكاتب إلي هذه المسائل الاجتماعية والإجابة علي السؤال التالي وهو:

1_ كيف وظّف الكاتب سوسيولوجية القرية في رواية صح النوم؟

الفرضيات

1-قسّم الكاتب روايته "صح النوم" إلي قسمين: الأول ما قبل عبور القطار من القرية والثاني ما بعده الّذي كان في زمن التغييرات السياسيّة في القرية. واستخدم حقّي المسائل، والأزمات الاجتماعية التي كانت تحيط بأهل القرية، وسعى إلي أن يقدّم لها حلاً لاسيما في فترة ما بعد التغييرات السياسية الّتي طرأت بالقرية.

خلفية البحث

من خلال البحث حول الدراسات السوسيولوجية القروية وصلنا إلي عدّة دراسات وكتب مرتبطة بهذا الموضوع ومنها بحث قدمه الدكتور عبدالغني منديب بعنوان محاضرات في السوسيولوجيا القروية عام 2006م في جامعة محمد الخامس في الرباط والذي تطرق فيه الكاتب إلي تكوين العلوم الاجتماعية والتنمية المحلية وأيضاً كتاب "الأسس العقلانية والسوسيولوجية للموسيقي" للكاتب "ماكس فيبر" وترجمة حسن صقر الذي نشر في المنظمة العربية للترجمة وكذلك الكتاب الذي ركّز علي السوسيولوجية القروية المصرية تحت عنوان "علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية" للكاتب الدكتور محمد نبيل جامع الذي نشرته جامعة الإسكندرية عام 2019م وبحث آخر لنفس الكاتب بعنوان "تنمية المجتمع الريفي المحلّي" الذي نشر عام 2011م و بحث آخر للدكتور أحمد فريقي بعنوان "الأبعاد السوسيولوجية والتربوية والقيمية للتنشئة الاجتماعية للفرد" وأخيراً كتاب "مسائل

في علم الاجتماع للكاتب"بيير بورديو" ترجمة الدكتورة هناء صبحي الذي نشر عام 2012م في هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة.

السوسيولوجية القرويّة

تتقسّم الدراسة الأكاديميّة إلى مجموعات وفرع تتناول كل واحدة منها موضوعاً خاصاً، و كذلك العلوم الاجتماعيّة تتقسّم إلى فروع كعلم الإقتصاد وعلم المجتمع وعلم النفس وعلم السياسة وعلم التاريخ وغيرها وإنّ العلوم الاجتماعيّة تُعدُّ من العلوم التجريديّة أي إنّها لا تهدف إلى تحقّيق أي نفع إنساني فوري وإنّما تمثّل الأساس الذي تبني عليه وتنطلق منه العلوم التطبيقية التي تهدف إلى التطبيق العملي والنفع الإنساني الفوري لسكّان المجتمعات الإنسانية. (جامع،2019م،24)

تُعَد السوسيولوجيا من العلوم الحديثة التي نشأت في القرن التاسع عشر على يد هنري مين وإتون وستيمان وبادين باوين وآخرون وكانت نشأة هذا العلم أثر تفاقم المشاكل الاقتصاديّة والاجتماعيّة في أمريكا في الفترة ما بين عام ١٨٩٠م إلي عام ١٩٢٠م حيث تعرّضت مجتمعات ريفيّة كثيرة إلى مشاكل خطيرة نتيجةً للتحضّر والتصنيع ممّا أثار اهتمام العلماء والمثقّفين والّذي أدّى إلى نشأة هذا العلم كمجال أكاديمي. (جامع،2019م،19)

وطرأت هذه الأزمة عند الأروبّيين أيضاً فـ«التحوّلات الأساسيّة لتصنيع المنظومة الإنتاجيّة للمجتمعات القرويّة في أوروبّا عموماً كانت بسبب النظرة الجديدة التي اعتمدتها الدول الأروبّية لمجالها الترابي والتغيّرات التي مسّت بالمجال الزراعي إذن فتأسيس السوسيولوجيا القرويّة بالنسبة للمدرسة الفرنسيّة كان بالمنظور الصناعي للمجتمع الفرنسي حيث تبيّن أنه لتطوير وتحديث القطاعات الصناعيّة، لابدَّ من تحديث الفلاحة الفرنسيّة أولاً» .(الطايعي،د ت،3)

بدأت السوسيولوجيا القرويّة من الفكرة المتمحورة على القضايا الاجتماعيّة ذات السياق القروي والريفي وبالرغم من قدم القرية وسابقة النشاطات الإنسانية فيها فإن بداية السوسيولوجيا القرويّة كفرع علمي متشعّب من السوسيولوجيا العامّة يعود إلى منتصف القرن الماضي وتحديداً بعد نهاية الحرب العالميّة الثانيّة حيث احتاج المجتمع البشري إلى فروع مختلفة من السوسيولوجيا لحل شتّي الأزمات، وفي هذه الأنحاء القت سوسيولوجيا القرية تركيزها على المجتمع القروي وقضاياه وسعت إلي أن تقدّم إجابات لأزماتها ومع حدوث الوضع المأساوي والدمار الهائل الّذي خلّفته الحرب للمجتمع الإنساني، «استلزم الأمر إعادة بناء هائلة، مما دفع علم المجتمع الريفي لتشخيص مشاكل المزارعين وحلّها وقد ركّز علم المجتمع الريفي على الجانب الاجتماعي بدرجة أكبر من الجانب الزراعي بصفة خاصّة مما دعا أيضاً إلى نشأة فرع أخر لعلم المجتمع سمّي علم المجتمع الزراعي.» (جامع،2019م،20)

سوسيولوجيا القرية تطرقت إلى القرية على أصعدة وفعاليات مختلفة والمشاكل الاجتماعيّة للمجتمع القروي ودراسة أهل الريف وما تربطهم من صلات بغيرهم من سكّان غير الريفيين والقرية تقع في محور اهتمامات علم الاجتماع الريفي وفي نهاية المطاف فإن علم المجتمع الريفي يهتم بالدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي بالمناطق الريفيّة كما يمكن تعريفه أيضاً بطريقة أكثر موضوعية وهي «العلم الذي يشمل مجموعة من الحقائق والروابط القائمة بينها، مصاغة في صورة أفكار وآراء وأساليب وتخمينات أي ظنّيات ونظريات يهتدي بها الإنسان أي ينحو نحوها في السيطرة على القوى الاجتماعيّة المتعلّقة بتنشئة وتطوير تركيب المجتمع الريفي مستهدفاً من ذلك خير السبل إلى مقاومة الآفات الاجتماعيّة الريفيّة وإلى تحسين

مستوى الحياة الإنسانيّة الريفيّة من النواحي التي لا تطرقها مباحث العلوم الزراعيّة الاجتماعيّة الأخرى.» (الزلافي،1958م،2)

حياة يحيى حقّي

يحيى حقّي هو الأديب والروائي المصري ورائد من روّاد القصّة القصيرة الذي أعقب تراثاً عظيماً من الفكر والأدب. ولد يحيى حقّي في السابع من يناير سنة 1905ميلادي في عائلة من أصول تركيّة جاءت من الأناضول وسكنت حي السيدة زينب سلام الله عليها في القاهرة، كان لعائلة حقّي الدور الأساسي في اهتمام يحيى حقّي بالعلم والأدب وأكثرهم كانوا من الأدباء والمشاهير في هذا المجال وترعرع يحيى حقّي في أجواء دينيّة، تقليديّة وعلميّة أدبيّة ودرس القرآن في كتّاب السيدة زينب سلام الله عليها في القاهرة والابتدائيّة في مدرسة والدة عباس باشا الأول في عام 1921ميلادي وفي عام 1925م تخرّج في كلّيّة الحقوق السلطانيّة العليا في جامعة فؤاد الأول من فرع الحقوق والمحاماة و«كان حقّي زميلاً لتوفيق الحكيم وحلمي بهجت بدوي وعبد الكريم الرفاعي آنذاك وبعد حصوله علي شهادة البكالوريا في القانون عمل محامياً في الإسكندريّة ولم يلبث في هذه المهنة أكثر من ثمانيّة أشهر» (حقّي، 1987م،75) التحق بعدها بوظيفة معاون إدارة في منفلوط بالصعيد المصري إبتداء من يناير 1927ميلادي ثم إنتقل للعمل في السلك الدبلوماسي حيث عيّن أمين محفوظات القنصلية المصريّة في جدة ثم نقل منها إلى القنصليّة المصريّة في أسطنبول بعدها نقل إلى القنصلية المصريّة في روما بعد إعلان الحرب العالمية الثانية عاد إلى القاهرة ليعيّن موظفاً سامياً بالوزارة الخارجية المصريّة ثم عين سكرتيراً أولاً للسفارة المصريّة في باريس ثم مستشاراً في سفارة مصر في أنقرة ثم أقيل من العمل الدبلوماسي عندما تزوّج من أجنبيّة عام 1954م ثم أعيد تعيينه مديراً عامّا لمصلحة التجارة الداخليّة في وزارة التجارة عام 1954م وعندما أنشئت مصلحة الفنون بوزارة الثقافة كان أول وآخر مدير لها من عام 1955م إلى 1958م وبعد إلغاء مصلحة الفنون نقل مستشاراً لدار الكتب وبعد سبعة أشهر قدّم استقالته من العمل الحكومي ثم عمل رئيساً للتحرير في مجلة "المجلة" عام 1962 إلى 1970م.(هواري،2018، 377)

دراسة يحيى حقّي لفرع القانون وتعرّفه علي ثقافات البلدان الأخري زائداً علي معرفته لمصر جعلته يتطرّق أكثر إلى مواضيع ذات طابع فكري-أدبي واجتماعي-أدبي كمواجهة الثقافة الشرقية والغربيّة في رواية قنديل أم هاشم، والحياة القرويّة ومواجهتهم للحداثة في رواية "صح النوم"، إذن لا ريب في أنّ لشخصية حقّي الاجتماعيّة دور كبير في خلق رواياته لذلك كان يستعمل أساليب متعددة في الكتابة كاستخدام الرموز والمفردات البسيطة والفكاهة والدعابة ويذمّ السخرية وكان يعتقد أنّ هناك فرقاً بين السخرية والدعابة «فهوكان يداعب دعابة جميلة ولكن السخرية تعني الاستهزاء »(عبدالمعطي، 1994م، 39) . حياة حقّي الاجتماعيّة كانت متزامنة مع مرحلتين من تاريخ مصر؛ الأولى: ثورة المصريين ضد الإحتلال البريطاني والثانية: مرحلة تحرير مصر من المداخلات البريطانيّة والإطاحة بالحكم الملكي التي يذكرها المصريين بثورة 23يوليو1952ميلادي يتحدّث حقّي في ذكرياته عن تأثير هذه الحوادث على حياته الاجتماعيّة ويقول: «حين التحقت بكلية الحقوق متشبّعاً بمبادئ الحزب الوطني فقد كانت"اللواء"هي جريدة الأسرة المفضّلة، وإن لم يمنعنا ذلك من التعلّق بسعد زغلول ومتابعة أحداث توقيت1919ميلادي

بحماسة شديدة فما أكثر ما كنت أصاحب أبي وشقيقي إبراهيم واسماعيل إلى"الأزهر" أو "بيت الأمة"أو"شادر مقام" في ساحة فسيحة لأستمع إلى خطباء الثورة وتبهرني أصواتهم المجلجلة حتى أصبحت الخطابة من بين هواياتي وكان الإنجليز يسدّون الطرق المؤدّية للأزهر... وكنّا نردد مع الجموع أناشيد الثورة»(حقّي، 2000م،31) إذن فيحيى حقّي لم يكن غريباً عن الشارع المصري والاجتماع، وشأنه شأن أدباء عصره، شارك في الأحداث الاجتماعيّة وتأثّر منها واستخدمها في الإطار السوسيولوجي القروي كما في رواية "صح النوم" و"البوسطجي".

استلم حقّي في عام 1969 ميلادي جائزة ميسي للأدب وفي عام 1983م نجح في أخذ الدكتوراه الفخرية من جامعة "منيا" الفرنسية في الأدب العربي وفي عام1990ميلادي استلم جائزة الملك فيصل الدولية كرائد لفن الكتابة في منتدى الأدب والفنون العامّة، وأفضل جائزة حاز عليها يحيى حقّي هو شغف الشعب المصري وتكريمهم له حاضراً كان أم غائباً ثم وافته المنيّة عام 1992م وهو في السابعة والثمانين من عمره.

التنشئة الاجتماعية والسوسيولوجية القروية في رواية "صح النوم"

التنشئة الاجتماعيّة هي العمليّة الاجتماعيّة التي تحقق للفرد الاندماج الاجتماعي وذلک من خلال الإكساب أو التلقين وتساعد علي إنماء الشخصية الاجتماعية وتكاملها.

«إنها بهذا المفهوم عملية تطبيع اجتماعية... أي جهد تبذله الجماعة لتشكيل الفرد وصياغته في قالب معيّن»(شكري،1994م،81)

وبين يحيى حقّي في روايته "صح النوم" عن القضايا والمشاكل الاجتماعية التي كانت تدور في القرية المصرية وسعي جاهداً لتقديم بعض الحلول لها كما يلي ذكر البعض منها:

الاختلاف الطبقي

يحتوي كل مجتمع على افراد ذوي مهارات مختلفة كالتجّار والمزارعين والمعلّمين وغيرهم «ولكل من هذه الفئات الاجتماعيّة خصائص في عيشها، وطريقة حياتها، وعاداتها وتقاليدها، ومستواها المعيشي، بل حتى لغتها الخاصة، التي تستعملها في التواصل بين افرادها فلكل جماعة لغة خاصة بها تعبّر بما داخلها عن ثقافتها، أي عن مجموع القيود التي تفرضها على الفرد، مقابل حصوله على صفة عضو والاعتراف به» (غراغيوم،2011م، 139) فمنذ قديم الزمان تقسّمت الجوامع البشريّة إلي طبقات اجتماعية واختلفت التسميات حسب المراحل التاريخية والعوامل الأخري، وكذلك في رواية "صح النوم" فإن الكاتب أشار إلى هذا الموضوع وبين الاختلاف الطبقي، لاسيما السائد تجاه القرويين فانتقد هذا الموضوع لإصلاحه وكنموذج نري ذلك في قصّة عائلة القزم:

«هذا القزم يُعد نفسه من أبناء قريتنا، وما هو كذلك، فهو ينحدر من أسرة لا تجري في عروقها دماء الفلّاحين»(حقّي،1994م،38)

يشير الكاتب إلى الاختلاف الطبقي الموجود بوضوح وكأن دماء الفلّاحين الذين كانوا يشكّلون نسبة عالية من سكّان مصر، تختلف عن الطبقة الأرستقراطيّة الحاكمة التي امتازت بمكانتها ورفعتها ويتابع وصف القزم وتصرفاته قائلاً:

«روي لنا سائق العربة الفرد يوم وصل صاحبنا بالقطار كيف نزل مرفوع الهامة منتفشاً، تحت إبطحه عصا قصيرة، يتلفّت شمالاً ويميناً، يشير بإصبعه للسائق، كأنه قائد أصيب بالخرس... وتقدّم نحو العربة ثم وقف ينادي بكلمة"يا هانم" امرأة ضخمة بدينة يزجرها لتسرع قليلاً، هذه هي زوجه تخبّ في ثياب غالية من الحرير.»(حقّي،1994، 40)

فنري الكاتب كيف يرسم صورة هذه العائلة الثرية، ويركّز علي صفات كالبدانة والثياب الغالية وطريقة المشي وحتي استخدام بعض المفردات ك"ياهانم" ليبين الاختلاف الطبقي الموجود في المجتمع ويتابع قائلاً:

«أقامت هذه الأسرة في العاصمة واتّصلت بحاشية السلطان وهو من جنس دمائها فأقطعها أرضاً فسيحة في زمامنا وبنت تلك الأسرة في هذه الأرض منزلاً كبيراً كان أثاثه وتحفه حديث أهل القرية ودهشتهم، أواني عجيبة الشكل من المرمر والرخام، ودروع وسيوف وسجّاد كبير تغوص فيه الأقدام... تجئ الأسرة مع المحصول ثم إذا انتفخت جيوبها عادت إلى العاصمة.»(حقّي،1994م،39)

فالطبقة الحاكمة والنبيلة القاطنة في العاصمة والطبقة المتّصلة بهم هي الطبقة الاجتماعيّة الفائزة بحيث أنّ لها الحق في تملّك الأراضي الريفية والثروات وإيهابها لمن شاءوا ومن رحم هذا الاختلاف الطبقي يلد التجاوز على القانون لإزالة المعرقلات والمشاكل القانوية والتحايل عليه وبنفس الوقت أنّ الطبقة الأرستقراطية محصّنة من قبل مرجعيّات معيّنة مدعومة من نفس القانون وهناك نماذج عديدة استخدمها الكاتب لبيان هذا الاختلاف الطبقي في المجتمع المصري ونري أمثلة كثيرة لهذه المعضلة كما حدث لسكّان القرية عندما أرادوا أنّ يقدّموا طلباً ليتم عبور شريط السكة الحديديّة من القرية ليصلها بالعاصمة فلم يستطيعوا والسبب يعود لموت وجيه القرية الّذي كان متّصلاً بالطبقة الحاكمة:

«فقد مات عنّا منذ زمن بعيد وجيه القرية الذي يملك أكثر أراضيها ومبانيها وكان هوالّذي يدافع عنها أم تراه يدافع عن مصالحه الشخصية! فللمال سلطان يلتمس له كل المعاذير وتفتح له كافة الأبواب.» (حقّي،1994م،8)

فالثروة وكثرة الأموال جعلت من أحد سكان القرية وجيهاً عند الحكومة يدافع عن أمواله وقبيلته حسب مصلحته الشخصيّة وبعد موته لم يبقى في القرية غني يدافع عن حقوق الناس أو بالأحرى منافعه الشخصية فالطبقة الفقيرة لا تمتلك أي حق في السلطة رغم كثرتها والطبقة الحاكمة والفئة الثرية القليلة تتحكم بمجري الأمور وتنهب الثروات.

وفي نموذج آخر بين الكاتب مدي الإخلاف الطبقي الموجود بحيث أنّ عمدة القرية الذي يمثّل السلطة الحاكمة يستحقر الفلّاحين والقرويين وطبقتهم الفقيرة:

«ثم أنّ الله نجّانا من نظّار المحطّات وأكثرهم من أقسى المرابين لأن أصلهم من الفلّاحين، والفلّاح لا يدفع شيئاً إذا أردفه جاره.» (حقّي،1994م،10)

أثّر هذا الاختلاف الطبقي علي زوايا مختلفة من حياة القرويين حتي أصبح الفرد يأبي أن يرتدي زي اهل القرية وترفّعاً يتّخذ لباساً وسطاً:

«وأنف الشاب أن يحتفظ بزي أهل المدن وأبي أن يرتدي زي الفلّاحين، لأن الرأي العام في بلدنا سيري_ يالأسف والعجب. أن في ارتدائه لزي قومه حطّة وتدهوراً، فاتخذ له زياً وسطاً»(حقّي،1994م،60)

العلاقات الاجتماعيّة في القرية

تدور أحداث رواية "صح النوم" في مجتمع قروي يقوم على أساس القواعد والتقاليد وغالباً ما يتميز هذا النوع من المجتمع بأهمية الأسرة والأدوار والحرف التقليدية ومن خصائص هذه الحِرَف إنها تتميز بجنس الناس وطبقاتهم الاجتماعية. وعندما نقارن المجتمعات القروية بنظيرتها المدنية والحديثة، نري أن لكل منها خصائص تختص بها وقد تكون معاكسة للمجتمع الأخر. كمثال، تُنَظَّم العلاقات الاجتماعيّة في المجتمع القروي بالشكل التقليدي السائد وكان القرار يتّخذ من قبل صاحب القدرة والسلطة إلى أنّ وصل تيار التنوير بينما في المجتمعات الحديثة يتم تسليط الضوء على المجتمع كوحدة عضوية، وقد وظّف يحيى حقّي هذا الأمر في روايته وشكك في التقاليد والأعراف القروية التي تمركز القدرة الاجتماعية في مكان واحد وركّز على تعزيز القيم الأخري كالمساواة والمعرفة والتقدّم وسعى إلى أنّ يقدّم نماذج ناجحة لكي يخرج القرية المصريّة من حالتها التقليدية إلى مجتمع حديث كما جاء في النموذج التالي:

«أصبح لكل إنسان رأي وهذا خير وإن حسبه الغافل بلبلة، ونحن نفتح صفحة جديدة، ولا نرفع الصفحة السابقة بخطفة واحدة فليس هذا مما تحتمله دنيانا،... ولكني لا أعامل الأفراد، بل أهل القرية كلهم"». (حقّي،1994م،148)

تعتبر هذه أولي الخطوات للعبور من مجتمع قروي، تقليدي إلى مجتمع حضاري متطوّر وطوي الصفحة القديمة والنظر إلى المجتمع ومصالحه ككل وكوحدة عضوية.

يصوّر الكاتب النزعة الغالبة علي القري وتأثيرها علي العلاقات الاجتماعية «الّتي تتمثّل في هيمنة النظام الأبوي علي العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية الّتي تغلب عليها الانتماءات القبلية والطائفية والمحلّية، لأن المجتمع الأبوي هو نوع من المجتمعات التقليدية التي تسودها أنماط من القيم والسلوك وأشكال متميزة من التنظيم وهو يشكّل لذلك، كما قلنا، بنية نوعية متميزة تتّخذ أشكالاً مختلفة من بينها المجتمع الأبوي العربي، الّذي هو أكثر ذكورية وأشدّ تقليدية وأكثر محاصرة لشخصية الفرد وتهميشاً للمرأة.»(الحيدري، د ت،2)

«وبقيت للقرية دنياها. إذا أتي المساء_ سواء أكان القمر هلالاً أم بدراً_ وفرغ الرجال الكادحون من عملهم، تسلل بعضهم إلي الحان حيث يشربون النتبيذ ويلعبون الورق، ويأكلون من الطعام ما لو قدّم إليهم في منازلهم لاستهانوا به، ولاموا زوجاتهم عليه أو ازدردوه علي مضض»(حقّي،1994م،13)

«ما معني هجركم لنسائكم؟ يعيش الرجال معاً في ناحية والنساء معاً في ناحية أخري، وما أبشعها خطّة لو تعلمون، حتي الحيوان لا يفعل هذا»(حقّي،1994م،47)

المهن والمكانة الاجتماعيّة

المجتمع الذي رسمه يحيى حقّي هو مجتمع تقليدي وريفي ونظراً لثبات شكل الحياة في الريف وأهمّيّة الأعراف والتقاليد، كان من الصعب أنّ يغيّر الفرد مكانته

الاجتماعيّة وبشكل عام كان يتم اكتساب مكانة الشخص في المجتمع عند الولادة وكذلك كانت مهنته:

«ورفض القزم أن تقول عنه انها تزوجت من عاطل، إذا طلع عليهما الصباح بقي في الدار بملابسه كالنسوة، لا يخرج من عمل ولا يعود من عمل...وإذا فعل الرجل ذلک زال إحترامه بتة من قلب زوجه، فسعي صاحبنا حتي فاز بوظيفة...وسيعيش في وسط أناس يعرفون قدره وأصله فتتم له كرامة وعمل وجاه»(حقّي،1994م،42)

«وقد سألته مرة كيف إختار هذه المهنة؟ أ لأنه ورثها عن أبيه أم لأنه هو أيضاً من عشاق الخمر؟.»(حقّي،1994م،14)

وفي نموذج ثاني من قصة الفتي الفنان:

«هذا الفتى أبوه أغنى رجال الحبوب في قريتنا، ليس له ولد غيره، يدخل مخازنه، ويسافر للأسواق وهو مطمئن النفس صادق النظرة والحساب لعلمه أنّ وراءه إبنه يحلُّ مَحلّه ويقيم مجده إذا أقعده المرض أو خطفه الموت.»(حقّي،1994م،66و67)

اختلفت المهن في المجتمعات الحديثة وبقت ثابتة تقريباً في المجتمعات القرويّة وذلك بسبب نقص التقدم التكنولوجي ويمكن ملاحظة هذا الأمر في التفاف الناس حول مهنة الزراعة وتربية المواشي وترك ذلك أثره في طريقة حياتهم وتصرفاتهم والأنشطة الموجودة في القرية وقسّم يحيى حقّي مهن القرية إلى قسمين الأولى في عهد الحياة التقليديّة للقرية والثانية المهن الحديثة التي نشأت بعد دخول القطار إلى القرية الذي كان يرمز إلى الحداثة والتطور والنمو التي شهدته:

«-ماذا كنت تشتغل قبل تعيينك في المجلس القروي؟

- صبي كلاف في زريبة تاجر الألبان.» (حقّي،1994م،102)

التنمية الاجتماعيّة تتحقق في كنف اشتراك وتنشيط افراد المجتمع في برامج التنمية، ففي رواية "صح النوم"بعد ما كان الكسل يسيطر على أهالي القرية جاء العهد الجديد بهذا المبدأ أنّ البطالة خلل في كيان المجتمع وينبغي أنّ يقضي عليه وكذلك مما زاد نمو المجتمع، كان «استهداف زيادة فاعلية الاشكال الموجودة من النظم السياسية وايجاد نظام أو إدارة محلية ذات كفاءة عالية حيث لا توجد مثل هذه الادارات» (جامع، ٢٠١١، 4) وحسب التطورات الجديدة خُلقَت فرص عمل جديدة كما تلي:

«لا زالت تعمل كما تعهدها، ولكن قصّادها أصبحوا من العمّال، فقد كثروا الان في قريتنا، وهي بهذا التحول أسعد وأهنأ.» (حقّي،1994م،133)

وفي نماذج أخري يذكر الكاتب مهن أخري لم تكن موجودة وخُلقت هذه الفرص المهنية في العهد الجديد للقرية بعدما كان معظم السكّان يعملون في الحقول :

«ومرّ بي عامل في رداء أصفر يجرّ عربة يد، ما هذا الزي؟ فلما استوضحته علمت أنه عامل النظافة في المجلس القروي الجديد.» (حقّي،1994م،100)

«فإذا بي أجد نفسي أمام مبني جديد فوقه لافته تعلن أنه «قوة المطافئ» ورأيت جندياً ضخم الجثة مفتول الشارب علي رأسه خوذة لامعة.»(حقّي،1994م،103)

وغير هذا كله فقد حقق العهد الجديد الإصلاح الزراعي فبعدما كان الفلّاح الكادح يعمل بأجور قليلة علي أراضي الملّاك قرر المجلس القروي الجديد أنّ يقسّم الأراضي ويمنح الفلّاح قسماً من الأرض التي كان يعمل عليها سابقاً وأن يصبح كل فلاح مالك لأرضه وأن يجتهد فصاعداً لنفسه وليس للملّاك:

«كل فلاح الان سلطان نفسه، فليكن علي الأقل رجلاً يعرف كيف يدبّر أموره بحكمة وعقل، لا تكربه مشقة أو جهد، وحين تحسن زرع الأرض، فيجود محصولها.»(حقّي،1994م،124)

طَلاقة القرية

وظّف الكاتب المبدع يحيى حقّي الريف ملاذًا للمطلوبين حيث يبتعد الفرد من ضوضاء المدينة ومطاردات قوّات الحكومة ويهيم في الحقول يبحث عن حرّيته، فرواية "صح النوم" كتبت في أعقاب ثورة 23يوليو التي أطاحت بالملكية وراح ضحيتها العشرات وصوّر حكومة الملك فاروق الأول المتسبثة بالحكم ومداخلات الدول الاجنبية لاسيما بريطانيا التي سعت إلى التحكّم في مصير المظاهرات والتي أرادت أنّ تتابع إحكام قبضتها علي مصر والأجواء البوليسية في العاصمة حيث كان يتم تصفية الثوّار:

«ليس لنا العيش في العاصمة فسيظل البوليس يتبعني ويلقيني في السجن كلما طرأت أزمة، فلا يشفيني إلا البُعد عن هذه المتاعب وأن أعيش في الريف حراً ناجياً من الظلم البيّن والإستبداد.»(حقّي،1994، 59)

وفي النّصوص التّالية يؤكّد الكاتب ثانيةً علي الجانب الطبيعي والطَلِق للقرية حيث الحياة الريفية والزراعية والإبتعاد عن ضوضاء العربات والسّيارات التي تمثّل الحياة الصناعية:

«وكان دكّانه في أطراف القرية، تمرّ أمامه ترعة صغيرة عليها جسر من جذوع الشجر يصلح لمرور الناس والدواب، لا العربات والسيارت...فيعبر الجسر إلي أرض الله الواسعة فلا تصل آذانه ضجة أو ضوضاء.» (حقّي،1994، 60)

«استحوذ سلام الحقول علي لبّ الفتي فأخذ يهمل دكّانه ويعبر الجسر إلي أرض الله الواسعة، لا تصل إلي آذانه ضجّة أو ضوضاع» (حقّي، 1994م، 60)

الانتهازية السياسيّة تجاه القرية

أعني بعبارة الانتهازية السّياسيّة تلك المواقف المتغيّرة التي يتّخذها البعض من السياسيّين تجاه الحكّام أوتجاه تغيّر النظم في لحظات التغيير السّياسي، خاصّة التغيير الحاد، الذي يحدث في أيّ بلد. أو تلك الفرص الّتي تنتهزها بعض المجموعات السّياسيّة عندما تشعر بأن الشعب قد انشغل بقضايا حادّة أو أنّ الدولة قد وجّهت جهودها تجاه تلك القضايا. وفي الوقت الذي يطلب من الجميع توجيه الجهود لمواجهة الخطر الواضح تخرج تلك القوى لتخترق الصفوف وتمزّقها على أساس دينيّ أو سياسي.(أمينة،2020م، ع 144)

عاني الشّارع المصريّ الكثير من قِبَل الشّخصيات الانتهازية وقد اهتم الكاتب بهذا الأمر وسعي إلى أن يبيّن دور هذه الشّخصيّات في المشاكل السّياسيّة والاجتماعيّة

وكيفية استخدام المنصب السّياسيّ أو الوجهة الاجتماعيّة لتحقّيق المنافع والمكاسب الشّخصيّة ولغاية أهمّية هذا الأمر فقد بدأ الكاتب روايته وأنهاها بهذه الشّخصيّات ومن أبرزها قصّة النّائب ذوالجاه الّذي رسم شريط السّكّة الحديديّة الّتي هي رمز الحداثة والتطوّر إلى أرضه البعيدة عن العمران والخراب وترك القرية الّتي هي علي بُعد فركة كعب من شريط السّكّة الحديدية:

«واشتعلت الأقاويل في العاصمة تؤكد أنّ الخط مرسوم عن عمد، ليخدم أرضاً بعيدة عن العمران يملكها نائب ذوجاه في القرية المجاورة.» (حقّي،1994، 7)

فهذا النائب بشخصيته الانتهازية السياسية استخدم منصبه لتنال أرضه النائية والبعيدة عن العمران الرقي وتجاوز عن القرية التي كانت تقع أساساً في مسير شريط السكة الحديدية وكان ذلك بسبب فقدان القرية وجيهاً متصلاً بالطبقة الحاكمة لكي يحمي مصالحه ومصالح قومه فانتهز النائب الفرصة.

انقطع نهائياً أمل أهل القرية بمرور شريط السكة الحديدية عندما برز واعظ القرية بشخصيته الانتهازية مؤيّداً للعمدة في مخالفته بعبور شريط السكة الحديدية من القرية:

«نعم العمل عملك هكذا تكون الحكمة والسياسة وبعد النظر،كأنك تري من وراء الغيب وإن هذه القرية لم تسعد إلا في عهدك الزاهر فأنت الذي تدرأ عنها الأخطار والمتاعب، عهدك كله خير وبركة، لاحرمنا الله منك، إننا لولاك لا نساوي شيئاً، إنني أدعو الله في كل ركعة أنّ يطيل عمرك ويوطد مجدك، وهبَّ من مكانه وجرى إلى العمدة وهوي على يده يُصرُّ علي أنّ يقبّلها.» (حقّي،1994، 12)

فالواعظ هنا صاحب الشخصية الانتهازية الذي ضحّي بأهل قريته ورأيهم وأبدا رأيه موافقاً للعمدة بممانعة عبور شريط السكة الحديدية وذلك ليبقي رفيقاً للعمدة والبقاء في صفّه والإستفادة من قدرته وبعد مرور العهد القديم في القرية واستبدال العمدة القديم بالجديد الذي اتخذ القرار في عبور شريط السكة الحديدية من القرية وانقلاب موازين القدرة، ظهر الواعظ بشخصيته الانتهازية مرة أخري وفي هذه المرة مؤيداً للفكرة الجديدة حسب مصالحه فدخل إلى مجلس العمدة الجديد:

«يخبّ في ثوبه المقلم بالأحمر والأخضر والسلّم وحيّا، وتقدّم وتخلّف، وانحني وقام، ثم صفَّ الوفد من خلفه بحركات سريعة مطاعة من كفّه... والتفت إلى الأستاذ وقال: نعم العمل عملك هكذا تكون الحكمة والسياسة.»(حقّي،1994، 145)

وبهذه المواقف أراد يحيى حقّي أنّ يشير إلي هذه الشخصيات التي تنمو في الأزمنة والأمكنة المختلفة لكن تزدهر وتبرز أكثر في المواقف والتغييرات الكبري كالثورات ففي مثل هذه المواقف تكون القيم القديمة قد فقدت حلاوتها وقيمتها والقيم الجديدة لم تكد تأخذ مكانتها الجديدة فهذا الأمر يفسح المجال للانتهازيين ليستغلّو الفرصة للخلط بين القيم القديمة والقيم الحديثة في آنّ واحد وذلك للتخلص من الأصول والقيم الاجتماعيّة المكرّسة بدعوى التخلص من القيم القديمة ونتيجة هذا الأمر هو فقدان المجتمع الفكرة الواضحة والمقياس السليم لكي يقيس بهما القيم المتعددة، التي يجب إزالتها عن التراث الإيجابي والتي يجب المحافظة عليها.

مشاركة الشعب بأمر الحكم

يبيّن يحيى حقّي في روايته صح النوم أنّ في المجتمع القروي لم يكن للشعب أي مشاركة في أمر الحكم وإدارة أمور القرية أو إنّها كانت ضئيلة جداً، وفي هذا المجتمع يتصرف الحكّام بشكل مستقل عن الشعب وكان السعي من أجل التغيير أمراً صعباً أو يصعب تصوّره بينما في العهد الجديد الذي مرّ بالقرية فيما بعد انقلبت الموازين رأساً علي عقب وقد شاركت الحكومة المحلّية الشباب وأصحاب الهمم في أمر إدارة القرية وعندما قرر العمدة العجوز الذي حكم القرية في العهد القديم التقليدي أنّ عبور القطار من القرية قد يلحق بها الضرر وكان قراره هذا على رغم إرادة أهل قريته فقد فرض رأيه عليهم جميعاً وهذا ما كان يزيد الشرخ بين الشعب والحكومة:

«وقال العمدة لن تزيد الحرائق في قريتنا، ولن تزيد بالتالي ضريبة مأدبنا لمعاون البوليس وجند المطافئ إذا هبطوا علينا من المدينة ثم أنّ الله نجّانا من نظّار المحطّات.» (حقّي،1994، 10-9)

بينما في العهد الجديد الّذي مرَّ بالقرية استلم جيل الشباب، أصحاب الهمم العالية زمام الأمور وشاركت الحكومة الشعبَ بأمر الحكم وبهم استطاعت أنّ تحقق النجاح، فالاهداف الرئيسية لتنمية المشاريع في المجتمعات الريفية هو اكتشاف المتخصّصين المحليين وتدريبهم ثم تشجيعهم لتصدّي الأمور:

«وأخذتُ أفكّر وأنا عائد لداري في أعوان الأستاذ الذين التفوا به يوم أنّ ألقى خطبته الأولى، أغلب أعضاء المجلس القروي منهم، كلّهم من الشبّان كنّا نراهم من قبل فلا نظن أنهم على شيء ولعل بعض الشيوخ ممن يعتزّون بتجربتهم كانوا لا يأبهون بهم... لقد مرّ بقريتنا عهود متتالية لا يدير أمورها إلا الشيوخ.» (حقّي،1994، 125)

الأمّية في القرية

الأمّية جعلت من سكّان القرية ناس سذّج قد أصابهم الجمود، وحياتهم حياة ساذجة لا يفقهون شيئاً عن الإستثمار أو إيداع النقود وحياتهم الاقتصادية حياة بدائية يصرفون ما يكسبون ولا يحسب أحدهم ليوم التقاعد أي حساب كما في النماذج التالية:

«فإن نسائنا ومن قبلهن رجالنا لا يعرفن شيئاً يسمّى إيداع النقود في المصارف.» (حقّي،1994، 43)

أو في قصّة صاحب العربة، بعد ما مات حصانه الذي كان مصدر رزقه الوحيد ومرور القطار من القرية الذي جعل منه عاطلاً عن العمل وبسبب فقدانه أي علم أو مهارة يكتسب منها لقمة العيش أصبح فقيراً يستجدي الناس:

«إنما كان سخطي على حماقتي أنا وسوء تدبيري، بلغت من العمر أخره ولم أحسب حساب اليوم الأسود.» (حقّي،1994، 109)

كما أنّ يحيى حقّي سعي جاهداً إلي أنّ يثبت للمرأة دورها الريادي في العائلة والمجتمع وأن يكرّس في وجودها ما أنشده شاعر النيل حافظ إبراهيم:

مَن لي بِتَربِيَةِ النِساءِ فَإِنَّها في الشَرقِ عِلَّةُ ذَلِكَ الإِخفاقِ

الأُمُّ مَدرَسَةٌ إِذا أَعدَدتَها أَعدَدتَ شَعباً طَيِّبَ الأَعراقِ

(إبراهيم،2014، 126)

فلو أمعنّا النظر نري أنّ يحيى حقّي يحث المرأة المصريّة علي التعلّم ويشعجها لكسب مهارات الحياة وما تتركه من أثر في رقي العائلة والمجتمع سواء:

«فَرَقَّ لها قلبه وعطف عليها وأدخلها المدارس الراقية ونطق لسانها بلغتنا الفصحى نطقاً سليماً وتعلّمت فوقه لغة أجنبيّة أتقنتها كتابة وقراءة ومرنت علي شغل الأبرة والحياكة وترتيب أثاث البيت.» (حقّي،1994، 49)

وفي نماذج أخري يؤكّد الكاتب علي دور العلم في مكانة الزّوجة واحترامها ويحفّز النساء للدراسة وكسب العلوم كما في هذا النص:

«وقالوا عن الشاب إنه لم يكن يطمع في أنّ يجد له زوجة مثلها متعلّمة مهذّبة.» (حقّي،1994، 51-50)

وفي نهاية الرواية يقدّم الكاتب الدراسة وكسب العلم حلاً للخروج من الوضع الراهن في القرية ويرسم صورة العمدة الجديد وهو يكرّس طاقته في كسب العلم والتأمّل لخدمة البلد ورفع الظلم عنه:

«ولكن كيف أخدم بلدي وأجاهد لرفع الظلم عنها، إنه ظلم عتيق متغلغل متشعّب، ومكثت الشهور الطوال حبيس حجرتي لا أنقطع عن الدرس والتأمل فاستبانت لي الحقائق ووضح الطريق.» (حقّي،1994، 91)

بسبب فقدان القرية إلي مدارس للتعليم وتنشئتهم عاني الكثير من الأمّية، وكان من الصّعب أن يرسل أهل القري أبنائهم إلي المدن للدراسة فيبين الكاتب في النموذج التّالي هذا الأمر:

«ولا أدري أي جهد بذله هذا الرجل بالتقتير علي نفسه وبيبع بعض ما يملكه من حطام، حتي استطاع أن يرسل ابنه للعاصمة لطلب العلم في مدرسة الفنون والصنايع» (حقّي، 1994م، 50)

أهمّية الطّقوس والأعراف في القرية

الطّقس يشمل كل العادات والتّقاليد الّتي تنتجها ثقافة مجتمع ما بناء على معتقدات دينية أو مرجعية ثقافية ويعرفه العلماء بأنّه «مجموعة حركات سلوكية متكرّرة يتّفق عليها أبناء المجتمع.» (دينكن، 1981م، ص176)

تُستخدم الأعراف في المجتمعات الريفيّة لحل المشاكل والتي تم اختبارها على مدى الأزمنة الماضية ولهذا الأمر فإن هذا النوع من المجتمع عادة ما يقاوم أي نوع من التجدد والإبتكار ويكون لرجال الدين الدور الأساسي والمهم لتعيين مجرى الأمور كما يلي:

«وأدركت أنّ مسألة شريط السكة الحديدية قد انتهت وانقطع كل أمل في مروره بنا، لمّا رأيت واعظ القرية يخرج عن صمته حين أقبل يخب في ثوبه المقلّم.» (حقّي،1994، 12)

تتغلغل التقاليد بين أوساط المجتمع لاسيما الرّيفي، وتترك أثرها علي الأفكار، فيصوّر الكاتب تقليد زواج البنت من ابن عمّها وتوقّعات المجتمع تجاه هذا الموضوع:

«بدأت هذه المأساة يوم أن هبط قريتنا منذ عشر سنوات سيرك متنقّل ونصب خيامه علي الجسر، لم يمكث بيننا إلّا ثلاثة أيام، ثم رحل ورحلت معه_باللفضيحة_ الفتاة السّمراء الّتي كانت القرية تحبّها، وتتوقّع لها أن تتزوج من ابن عمّها.» (حقّي، 1994م، 23)

كذلک رسم الكاتب يحيى حقّي تأثير التقاليد والنّظرة الاجتماعية علي تصرّفات الفرد في المجتمع:

«وأمسك بضفيرتها اليمني وجذبها من وراء ظهرها، وأنزلها علي كتفها فوق صدرها، ثم ثبتت نظرته علي عينيها لحظة قصيرة وانصرف عنها، ضاقت ذرعاً بهذا العبث...إذ لم تمتد يد غريبة لشعرها، ويحدث هذا أمام النّاس أيضاً.» (حقّي، 1994م، 24)

قلّة التنقّل بين المجتمعات

الغزوات الأجنبية على طول التاريخ تسببت بسلب الثقة عن الأجانب وبقي المجتمع التقليدي المحافظ في رواية صح النوم قليل التنقل ومتماسكاً بكل العمالة الممكنة وكان من الصعب أن يترك الواحد منهم قريته وأن يتنقبل بين المجتمعات الأخري لكسب علم أو مهارة أو ما شابه فتسبب هذا الأمر بجمود المعرفة وعدم تبادل الأفكار مع المجتمعات الأخري كما في النموذج التالي:

«فسألني من أين أنا قادم فلمّا أنبأته إنني راجع من بلد أجنبي من وراء البحار لم يسألني عن أهله وجوّه وعجائبه، بل بادرني متلهفاً بسؤال واحد:

- كم يبلغ مرتب العامل مثلي في هذا البلد؟ وكم ساعه يشتغل؟.»(حقّي،1994، 101)

وفي النّماذج التالية يبين الكاتب هذه الآفة الاجتماعيّة التي أصابت القرية :

«وأهل القرية أسرة واحدة كبيرة معروفة بالكسل قليل تنقّل أفرادها.» (حقّي،1994، 11)

«وهكذا ظلّت قريتنا في مأمن من فضول الغرباء والمسافرين، وتطلّعهم إلينا.» (حقّي،1994، 12)

«هي ليست من قريتنا...لم يشأ أن يكشف لأحد عن سرّه أو سرّها، وعاشت بيننا في عزلة عنّا، شأن الغريبة لا تزور ولا تزار.» (حقّي،1994، 18)

تأثير البيئة السكنية

الإنسان ابن بيئته بحيث إنه يتأثر بها بشكل كبير وإن كان هذا التأثير سلبياً فهذا يسبب مشاحنات تحرّض أفراد المجتمع على الخلافات العائلية والاجتماعيّة «فعدم التوافق العائلي مثلاً، يؤثّر تاثيراً كبيراً في تكوين العادات ونمو الشخصية وتكاملها»(اوزي،1979م، 15)كما نري هذا الأمر في تأثير الحانة علي المجتمع والعائلات وما تسبب من مفارقات زوجية وعائلية قد ينتهي الأمر بالشجار أو إنهيار العائلة كما في النموذج التالي:

«ونساء القرية يظهرن السخط أيضاً علي صاحب الحانة نفسه فيزعمن أنه الذي ينتزع منهن أزواجهن وما في جيوبهم من نقود قليلة هنّ وأولادهنّ أحقّ بها.» (حقّي،1994، 19)

«لا تكترثي إنني لا أجبر أحداً على المجيء هنا، وعندي ما أقدّمه للروّاد من غير الخمرة كالقهوة والشاي والطعام أن أرادوا، إنّما هم يهربون منك ومن أمثالك، لا يعجبكن العجب، وليس وراءكن إلا النكد، وإذا كنت تحسبين إنني أجمع من مهنتي هذه ثروة أحسد عليها فأنت تخطئين.» (حقّي،1994، 47)

كما أنّ تأثير البيئة السّكنية قد يتسبب بمضايقات واختلافات عائلية كما في النّموذج التّالي:

«إنّ النّساء يقبعن في بيوتهنّ وليس من عادتنا أن يخرج الرجل مع زوجته فإننا نأبي ونخجل خجلاً مربكاً أن نُري في صحبة نسائنا.» (حقّي،1994، 41)

ونري في نموذج أخر التأثير الّذي تركه الأجانب علي البيئة السكنية لأهل القرية فكانوا السبب في فسادها:

«ويحك ألا تستحي؟ لقد كان الأجانب من قبل هم الذين يفتحون الحانات في ريفنا فيفسدون عشيرتنا ويبتزّون أموالهم بالخمر والرّبا» (حقّي،1994، 47)

النتائج

ضمن البحث في حياة يحيى حقّي ومن خلال دراسة رواية "صح النوم" تم التوصّل إلى النتائج التالية:

يحيى حقّي الأديب والروائي المصري التركيّ الأصل من كبار الأدباء في فن الرواية والقصّة القصيرة الذي غاص في عمق المجتمع المصري ليظهر المشاكل التي كانت تسبّب التخلّف والجمود وإصلاحها من خلال مهارته في سرد قصص وروايات رمزية أثارت الشارع المصري والتي تحول بعضها إلى أفلام سينمائيّة خلّدها التاريخ.

امتلك يحيى حقّي لغة سهلة وسلسة استطاع من خلالها أنّ يصف الريف المصري بسهوله وربوعه والذي جعله في زمرة أدباء الريف، وحلل القضايا الاجتماعية للقرية المصرية وقدّم لها حلّاً ومن ضمن النتائج التي توصلنا إليها هي:

1-إقامة الديمقراطيّة: تحقيق الحياة الديمقراطيّة ومشاركة عامّة الشعب لاسيما الشباب بأمور الحكم بعدما كانت الحكومة في العهد القديم بيد العمدة العجوز والانتهازيين ولم يكن يسمح لأحد التدخل بأمور الحكم.

2-خرجت الأدوار والمهن والمكانة الاجتماعية من حالة جمود وراثية إلي الحالة الإكتسابية حيث استطاع الأفراد الحصول علي الوضائف والمهام بقدر ما يمتلكون من مهارات.

3-القضاء علي الإختلاف الطبقي يتحقّق في كنف العدالة الإجتماعية، فسعت الإدارة السياسية الجديدة في القرية أن تحقق هذا المهم.

المراجع

1-إبراهيم الحيدري، الهيمنة الذكورية في المجتمع والسلطة، ،شبكة الاقتصاديين العراقيين.

2-احمد، اوزي؛ محمد، الدريج، المشكلات الأسرية والإنفعالية للمراهق المغربي، مجلّة التدريس، عدد6، 1979م، ص15.

3-أمينة، شفيق، الانتهازية السياسية، مجلة الأهرام، ع 144، 2020م.

4-جلبير، غراغيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة محمد اسليم، دار البيضاء، مطبعة افرقيا الشرق،٢٠١١م، ص139.

5-حافظ، إبراهيم، ديوان حافظ ابراهيم، دار الغد الجديد، 2014م، ج1.

6-دينكن، ميتشل، معجم علم الإجتماع، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1981م ،ص176.

7-علياء، شكري، الطفل والتنشئة الاجتماعية، نشر دار المعرفة الجامعيّة، 1994م، ص81.

8-فاروق، عبدالمعطي، يحيى حقّي الأديب صاحب القنديل، دار الكتب العلمية، 1994م، ص39.

9- مبارك، طايعي، سوسيولوجية القرويّة، كلّية العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة، د ت، ص3.

10-محمد منير، زلافي، المجتمع الريفي معالم رئيسية في المنوال المجتمع الريفي المصري، الشاطبي الاسكندرية،١٩٥٨م، ص2.

11- محمد نبيل، جامع، تنمية المجتمع الريفي، ٢٠١١م، ص4.

12- محمد نبيل جامع، علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية، جامعة الإسكندريّة،٢٠١٩م، ص20.

13-محمد، هواري، أعلام الأدب العربي المعاصر، ترجمة حقيقية ل50شخصية أدبيّة، دار الكتب العلميّة،2018م، ص377.

14-يحيى، حقّي، صح النوم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص38.

15-يحيى، حقّي، قنديل أم هاشم، الهيئة المصرية للكتّاب، 2000م، ص31.

16-يحيى، حقّي، خلّيها علي الله، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتّاب، 1987ش، ص75.